حوار مع

محمد أحمد نعمان

حول

حركة المعارضة والسياسة الخارجية اليمنية

حوار
محمد جمال جميل

تحرير
لطفي فؤاد أحمد نعمان



مؤسسة العفيف الثقافية

اهداءات ٢٠٠٣
منتدى النعمان الثقافي للشباب
اليمن

حوار مع

الشهيد الأستاذ

محمد أحمد نعمان

حوار مع

الشهيد الأستاذ

محمد أحمد نعمان

نائب رئيس مجلس الوزراء وزير خارجية
الجمهورية العربية اليمنية سابقا

حول حركة المعارضة والسياسة الخارجية اليمنية
من المملكة المتوكلية
إلى الجمهورية الثانية

أجرى الحوار:

محمد جمال جميل

في باريس ١٩٧٢م

وحرره في صنعاء:

لطفي فؤاد أحمد نعمان

٢٠٠٣م

مؤسسة العفيف الثقافية　　منتدى النعمان الثقافي للشباب

إصدار : منتدى النعمان الثقافي للشباب - مؤسسة العفيف الثقافية

الصف الضوئي : منتدى النعمان الثقافي للشباب

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : مركز أبو وليد للخدمات الإعلامية (٢٧٧٨٩١)

رقم الإيداع : (٢٠٠/٢٠٠٣) بدار الكتب الوطنية بصنعاء

الطباعة : التفوق للطباعة - صنعاء

الطبعة : الأولى - أغسطس ٢٠٠٣م

الفهرس

المقدمات

بأقلام :

الأستاذ/ محسن أحمد العيني

الأستاذ/ أحمد جابر عفيف

لطفي فؤاد أحمد نعمان

محمد أحمد نعمان

محسن أحمد العيني

رئيس الوزراء ووزير الخارجية الأسبق

* شخصية يمنية نادرة.. بدأت رحلته مع الحياة.. قَلَقاً ووحشةً وخوفاً وغربةً وسجناً ونضالاً عنيداً، ومعاناة..

وفي كنف والده الزعيم.. لا يخرج من حال إلا إلى حال أسوأ، ومنذ طفولته المبكرة.. كان الباسم.. العنيد، المثابر، المحاور، المجادل، الدارس، الباحث، المتابع لأدق التفاصيل.. العاشق لتعز وحجة وعدن وصنعاء.. المغرم باليمن تاريخاً وتراثاً وفناً وطعاماً ولباساً..

وبرغم أن ظروف النضال والتشرد.. والتنقل.. لم تسمح له بالدراسة المنتظمة، فقد استفاد من والده "الأستاذ".. "المعلم الأول" في اليمن.. ومن مجموعة العلماء والأدباء والمبدعين الذين ضمتهم سجون حجة.. فعلَّم نفسه، وثقف نفسه.. بل وتفتح على الفكر الحديث..

لعل "من وراء الأسوار" أول محاولاته كشاب نابغ في استنطاق من كانوا في حجة عن فهمهم وتصوراتهم لليمن الجديد..

وجريدة "الفجر" التي أصدرها، وما كان يكتبه في "العامل" وغيرهما من صحف عدن، يبرهن عن فهم عميق، وإدراك سليم، وقلم بارع.

* الذين أطلقوا عليه لقب "الغوبة" لم ينصفوه، لقد كان إعصاراً.. تياراً عنيفاً.. حالماً.. هائماً.. عنيداً.. جريئاً.. طموحاً لا يستقر على حال..

* في حواره مع محمد جمال جميل.. أعطى الإمام يحيى ما يستحقه، وأنصفه في دوره في تأسيس الدولة "الحديثة" في اليمن..

لقد كان من الطبيعي أن يكون "خطاب" الحركة الوطنية هجوماً متواصلاً على الإمام ونظامه، وأن تركز "أدبيات" المعارضة على جرائم وسلبيات حكمه.. وما أكثرها..

لكن.. وقد نجحت الثورة، وقامت الجمهورية.. من الطبيعي أيضاً أن تبدأ النظرة الموضوعية لسير الأحداث.. وأن نعترف، وقد خبرنا ظروف بلادنا وقبائلنا وجبالنا ومناطقنا وظروف الجزيرة العربية من حولنا، بدور الإمام يحيى البارز في بناء الدولة اليمنية..

مشكلته (الإمام يحيى)... ومشكلة اليمن معه.. أنه خلد إلى الراحة في صنعاء طوال أربعين عاماً، وأعفى نفسه من مهام متابعة ما تحتاجه الدولة من جهاز إداري، واهتمام بالاقتصاد والمواصلات والخدمات الصحية ونشر التعليم، وإنهاء المظالم، وتحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين..

* لقد جمعتني بمحمد نعمان وبوالده.. القضية الوطنية.. وكنت معهما والأستاذ الزبيري.. وكأننا أسرة واحدة..

لم نُعط أي اعتبار للمجاملة أو المراعاة أو التكلف.. ما في القلبَ.. على اللسان.. وتوّهم الناس تبايناً وخلافاً ونزاعاً أحياناً.. وما بيننا.. كانت الثقة والمحبة والاحترام..

القاهرة ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٣م

محمد أحمد نعمان
الصديق الذي لا ينسى والعقل المفتوح

أحمد جابر عفيف
رئيس موسسة العفيف الثقافية
رئيس مجلس الأمناء

الحديث عن الصديق الحميم شائق وحزين في آن واحد. شائق لأنه يتناول علماً من أعلام الحرية والديمقراطية والحوار. وحزين لأنه يذكر باستشهاد هذا النابغة الإنسان الذي اغتالته أياد آثمة. وحرمت الإنسان العربي من مفكر سياسي تفاخر به اليمن والأمة العربية كلها.. هو في ذروة التفتح والعطاء والنضج.

تعود معرفتي بالعزيز محمد إلى العام ٥٤ أو ٥٣م لا أذكر تحديداً.. وكان اللقاء الأول في صنعاء، كان التعارف عادياً وعابراً.. ثم إلتقينا مرة أخرى في القاهرة أواخر الخمسينات وكان التواصل الأكثر عمقاً وثراء عقب ثورة الـ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢م.

وعندما كنت سفيراً في بيروت أصبحنا أصدقاء ويجمعنا هم مشترك وقضية واحدة.

كان محمد النعمان في الأعوام ٦٦ ، ٦٧م قد اتخذ من

بيروت مقر إقامة له وان كان قبل ذلك كثير التردد على بيروت العاصمة العربية الديمقراطية الوحيدة التي تمثل الرئة النقية للوطن العربي كله.. فهي ملاذ الأحرار وقبلة المعارضة السياسية العربية من الماء إلى الماء.

غالباً ما كنا نلتقي ونناقش الهم العام.. فالوطن اليمني يعيش محنة كبيرة بسبب تصاعد الحرب ا لمستمرة في اليمن، والانقسامات الرهيبة في المجتمع اليمني في سجون مصر (النعمان - العمري - حسن مكي) وعدد كبير من الوزراء والقادة العسكريين، أصبح موقفنا معروفاً وهمنا واحداً هو الدفاع عن المعتقلين السياسيين.

كانت إبنة الشهيد أم هانئ على تواصل مستمر معنا من القاهرة وتعطينا صورة واضحة فاجعة عن أحوال السجناء بالقاهرة.

فقد جرت منتصف العام ٦٧م محاكمة العميد الشهيد محمد الرعيني وأعدم مع نفر من الضباط وكان الخوف كل الخوف من إعادة الزعماء المعتقلين في السجون المصرية والتخلص منهم في صنعاء.. وكانت الإشاعات تتزايد عن طلب الحكومة اليمنية لهؤلاء الزعماء المعارضين الذين حينها كان لا بد من التحرك لإيقاف المذبحة المتوقعة.

وقد أثمرت اللقاءات المتواصلة والتي شارك فيها الاخوة الاستاذ محسن العيني والدكتور العطار وآخرين لتشكيل وفدين.. قسم يذهب إلى الخليج وآخر للجزائر، وكان

الأمل في «هواري بومدين» للتوسط لدى المرحوم الزعيم جمال عبدالناصر للإبقاء على حياة الزعماء اليمنيين. ولو ببقائهم في السجون المصرية. وقد سافرت إلى الجزائر أنا والعطار والشهيد، والقصة مذكورة بالتفصيل في كتابي «شاهد على اليمن» وقد توجهنا بعدها إلى سوريا ثم بيروت، وفي عام ٦٩، ٧٠م إلتقينا في صنعاء لنعيش معاً.

والحقيقة أن ما لفت نظري لهذا الانسان هو عقليته اللبرالية. وتخلصه من داء الحقد أو الحسد والتعصب.. فهو محاور من الدرجة الأولى.. يملك مقدرة فائقة على الحوار والاقناع واحترام الرأي والرأي الآخر، وحق الاختلاف مع التوفير الكامل لهذا المُخْتلف، كنت ألحظه في ضمن التحاور والاختلاف غالباً ماينتهي الجدل الفكري والخلاف السياسي بدعوة المختلف معه إلى وجبة الغداء.. فالخلاف عند محمد نعمان لا يفسد للود قضية.. كما يقول الأباء.

كان محمد نعمان عميق الرؤية وبعيد النظر، ويتمتع بقدرة عقلية عميقة.

والواقع أن قراءة هذا الحوار الخصب والثري يكشف عن عمق تحليل النعمان الابن.. فهو يقدم قراءة لعهد الإمامة.. وخصوصاً التخلف، فهو في قراءته أمين وموضوعي، ويأخذ البيئة والمحيط والعوامل المختلفة بعين الإعتبار، كما أنه يستقرىء الصراع الدامي بعد ثورة سبتمبر.. ويقدم رؤية شديدة الدقة والوضوح وغاية في بعد النظر والإحساس

بالمسئولية الوطنية والقومية.

ولا يغيب عن البال احتفاء «رجل الحوار» بالديمقراطية وتوكيده عليها.. فهو معها حتى عندما تطيح بوالده من رئاسة مجلس الوزراء.

وإذا ما تساءل ا لبعض عن السر وراء النشر لهذا الحوار الذي تأخر ما يقرب من ثلاثين عاماً فإن الإجابة الصادقة والمخلصة هي الرغبة العميقة في إيصال حوار المنطق والعقل ليس غير، وهو مسجل بصوت الشهيد محمد نفسه.. وليس هناك من هدف أو غاية غير نشر تراث هذا الإنسان المنادي بحق وصدق.

٢٠٠٣/٧/٢٢م

محمد النعمان الدبلوماسي باحثاً علمياً..

لطفي فؤاد أحمد نعمان

رئيس منتدى النعمان الثقافي للشباب

عُمرُ هذا الحوار ثلاثون سنة، بدأه الأستاذ محمد جمال جميل مع الشهيد الأستاذ محمد أحمد نعمان في باريس عام ١٩٧٢م يوم كان الشهيد سفيراً للجمهورية هنالك..

رغم قدم الحوار إلا أنه جديد في محتواه، أوضح من الأمور مَا التبست علينا، وكشف غموض وأحداث ووقائع عُرفَت بشكل غير مُفَصَّل، ويتيح لنا معرفة الحقيقة التي ننشَدها ولا نبلغها دائماً..

لا يخفى على أحد أن الشهيد النعمان عُرف بصراحته، رغم أنه دبلوماسي من الطراز الأول، والدبلوَماسية معناها الحقيقي الطواية والإخفاء.. لكنه بهدوء طرح رداء الدبلوماسية جانباً في حواره وارتدى ثوب الباحث العلمي، والمُحلل العميق الشفاف دون جرح أو خدش لحياء أحد.. وسَبَر أغوار الحقيقة والتاريخ..

يكشف الشهيد النعمان في هذا الحوار حقائق كانت مُغَيَّبة تماماً عن عهد الإمام يحيى حميد الدين وخَلَفه

أحمد، فيما يخص سياسة اليمن الخارجية قبل ثورة سبتمبر ١٩٦٢م..

كما أغرق في تحليل أبعاد بواعث حركة الأحرار اليمنيين داخلياً، وكذلك الظروف السياسية الإقليمية والدولية المحيطة باليمن، ذلك الجزء من العالم الذي ظل مجهولاً، ويكسو الغبار موقعه على خريطة العالم..

ويعرض آراءه في صراحة ووضوح في نظامي مصر بعد يوليو ٥٢م، والسعودية اللذان بحسب تعبيره اصطرعا على أرض اليمن..

وللمرة الأولى يطرح الشهيد النعمان رواية مغايرة لقصة ليلة ٢٦ سبتمبر، ودور العسكريين فيها ويشرح موقف الأستاذ أحمد محمد نعمان من الثورة قبل وقوعها.. والوساطات العربية في حرب "الجهل القومي الفاضح" حسب تعبير الشهيد نفسه..

ويستطرد الشهيد النعمان إلى أن يصل إلى حركة ٥ نوفمبر ١٩٦٧م التي أعلنت عن قيام "الجمهورية الثانية" برئاسة حكيم اليمن وأدهى ساستها القاضي عبدالرحمن الإرياني.. وجاءت إعلاناً جديداً لاستقلال اليمن، وحيثيات السياسة الخارجية لليمن في عهد الجمهورية الثانية ومزاياها؛ منها أن خطوةً إيجابية قامت بها اليمن في يوليو ١٩٦٩م أدت إلى تطبيع العلاقات مع السعودية بجهود أمريكية اضطرارية، وإيقاف النزيف الدموي الأهلي

في اليمن، وذلك عندما خطت اليمن نحو فتح قناة العلاقات مع ألمانيا الغربية - وللشهيد النعمان دوره في ذلك كما شهد بذلك الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو في كلمته غير التقليدية رداً على كلمة السفير النعمان لدى استقباله له سفيراً للجمهورية في باريس - مؤكدة هذه الخطوة على أن اليمن ليست ذيلاً لروسيا أو للصين ولا لأحد..

تقييم الشهيد النعمان لعصر عاشه وبَصَم فيه بصمة واضحة هو وجيل سبقه، يأتي في محل الأهمية البالغة لكونها تقييماً وشهادة حية لرجل وصفه كثيرون بأنه سبق عصره..

ورائده في هذا الحوار التقييمي القيم لعهد " المملكة المتوكلية" أو "الجمهورية الأولى" الذي سبق في تقييمه لهما كثيرين من البحاثة الجادين والمنصفين هو:

أنا أنظر إلى الأمور اليوم بمنظار هادئ غير متوتر، لأن البحث ليس سياسياً.. قدر ما هو هادئ لأن البحث علمي؛ ونحن قد عبرنا معركتنا السياسية وكسبناها، فلسنا بحاجة إلى زخرفة الكلمات حول الجوانب السلبية.. كما أننا لا نُعتَبَر بأي حال من الأحوال أننا حريصون على العهد القديم بحيث أننا ننسج له فضائل، ولكننا نريد أن نضع أنفسنا أمام الحقائق الأساسية حيث نسعى لاكتشاف الحقائق في حياتنا لكي نطور أوضاعنا.. وما لم نتبين أبعاد

قدراتنا وقدرات شعبنا وإمكانيات بلادنا على حقيقتها فإننا سنخطئ السير وسنضل الطريق دون أن نصل إلى حقيقة..

* وأن التاريخ لا يسير أبداً في مسارات منفصلة عن بعضها..

* وليس في حركة التاريخ أي عامل متفرد وإنما التاريخ نسيج من ردود الأفعال وردودها..

* والتاريخ حركة جدلية مستمرة..

* ولا نستطيع أن نقول عما حدث أنه سابق لأوانه، لأن أوانه هو أوان الحدوث وقد حدث.. فمثل هذا القول منطقياً لا يصمد"..

أترك المجال لكم لقراءة الحوار حتى تتاح فرصة اكتشاف النعمان الدبلوماسي في ردائه الآخر والحقيقي، باحثاً علمياً ومحللاً دقيقاً ومفكراً عميقاً.. وأديباً ومتحدثاً مالكاً لناصية اللغة دونما جهد أو عناء..



ملك المتوكلية مؤسس الدولة

■ **ما هو دور الإمام يحيى في:**

أ - التوحيد والاستقلال؟

ب - في إعطاء اليمن صورتها السياسية الدولية المعاصرة؟

●● الإمام يحيى يعتبر مؤسس الدولة اليمنية المعاصرة، إذا ما نحن حددنا معاصرتنا بنهاية الحرب العالمية الأولى، وحين تصدى الإمام يحيى لاستلام مهام الحكم في ذلك الوقت لم يكن هناك منازع يمني له على السلطة بصفة عامة، فقد كان أثناء محاربته للأتراك في المناطق الشمالية يبعث رسله إلى مختلف المناطق اليمنية التي يحكمها الأتراك يطلب من القائمين على الأمور فيها إرسال الزكوات إليه، وإن لم يكن يتشدد في ذلك تشدداً كبيراً بل كان يعتبرها نوعاً من المساعدة على الجهاد ضد الأتراك، كما كان في كثير من الأحيان يبعث بعض مشائخ القبائل إلى المناطق التي يحكمها الأتراك مزودين برسائل تزكية منه إلى المشائخ في اليمن الخاضعة للأتراك في المناطق الجنوبية يدعوهم فيها إلى تيسير أمور هؤلاء ومراعاتهم، وكما كان يقول فإنهم (من المحبين المخلصين) أي أنهم من أنصار الإمام.

عندما غادر الأتراك كان تصدي الإمام أو تطلعه للحكم تطلعاً لا ينافسه عليه أحد من المواطنين ذوي القوة

والشكيمة في البلاد، إذا ما نحن استثنينا في الطبيعة موقف الأدارسة، فتلك قضية أخرى خاض من أجلها الإمام حرباً طويلة انتهت في النهاية إلى التوتر التي استهلت به العلاقات بين اليمن والسعودية كما هو معلوم.

فنحن اليوم عندما نتحدث عن الإمام يحيى وفهمه للوحدة الوطنية أو لتوحيد البلاد فسنكون من المغالين لو أعطينا الإمام يحيى -رغم إنجازاته- صورة من كان يعي معنى الوطن أو الشعب الواحد، لأن هذه المفاهيم في ذلك الوقت لم تكن سائدة والحرب مع الأتراك حرب أساسها - حين نقرأ منشورات الإمام ورسائله أساسها- ديني وفلسفتها دينية أكثر منها وطنية أو قومية.. فالأتراك يعتبرون على الدوام أنهم بغاة، أي أنهم مسلمون رسميون ولكنهم خارجون على الإسلام، ولذلك اجتهد أحد الأئمة فيما مضى واستنصر بالإيطاليين على الأتراك، ولما نوقش في ذلك فَسَّرَهُ بقوله " إن من يعصون الله داخل المسجد أحق بالجهاد ممن يعصونه خارج المسجد" !!.. وهذا منطق نعرفه اليوم بصيغ مختلفة في أولئك الذين يعنفون على مواطنيهم عنفاً قاسياً أكثر من العنف على الأعداء، باعتبار أن هؤلاء مخربين من الداخل، وأن عقوبتهم يجب أن تفوق عقوبة أي عدو حرج في الخارج..

الإمام يحيى.. وحدويا وطنيا

على كل نعود لتصور الأمر فنجد أن الإمام يحيى حقق قضية الوحدة تلقائياً دون أن يستهدف قضية التوحيد لأنها ليست قضية، وإنما القضية هو وجود سلطة تستطيع أن تجبي الزكوات التي تؤمن عيشاً للمحاربين الذين يحرسون السلطة..

تلك هي أبعاد الحكم، وذاك هو المنطلق للسياسة الداخلية والخارجية عند الإمام يحيى، وأكاد أقول وعند جيل الإمام يحيى ككل.

ولكي نكون منصفين ينبغي لنا ونحن نتقصى أحوال الإمام يحيى أن نرى أحوال الحكام الآخرين في المنطقة.. ماذا كانوا؟ وبمن انتصروا؟ وما هو تفكيرهم؟ وما أبعاد سياستهم الداخلية والخارجية؟ لنجد أنها على مرحلة من مراحل التدني في المنطقة كلها، وحسبنا أن يكون الإمام يحيى مؤسساً لدولة مستقلة في الوقت الذي تقع فيه معظم الدول العربية تحت الانتداب البريطاني أو الفرنسي. وحين لا نجد دولة عربية أخرى ليس لها علاقة خاصة بدولة أجنبية أخرى، قد يكون هناك انصراف من الآخرين عن اليمن، وهذا ما يذهب إليه الكثيرون لأنها لم تكن مطمعاً، وبالتالي فإن الإمام لم يكن من القوة والقدرة بحيث يقهر الآخرين عن أن يقتحموا أسوار اليمن، وإنما هو الإنصراف ملتقياً مع رغبة الإمام، شأنه في ذلك شأن أي حاكم أنه

يريد أن يتصرف بأمور المنطقة التي هو فيه، كما يشاء بمفرده. ونحن نعرف جميعاً أنه ما من حاكم بحث عن أجنبي فيحتل بلاده باختياره أبداً، حتى أولئك الذين وقعوا المعاهدات أو استنجدوا إنما استنجدوا من خطر، وَهموا أن الأجنبي سيحفظ لهم سلطانهم على منافسيهَم من المواطنين فاستدعوهم.. وما جاءت الاستجابة إلا نتيجة حاجة الآخرين لذلك الموقع، هناك عوامل متعددة هي التي يسرت للإمام يحيى أن يحتفظ بسلطته على المناطق التي دانت له بالطاعة والولاء، ولكن هناك مناطق كثيرة ولّت من يده إما لأنه اكتشف أنه غير قادر على مخاصمة الطامعين -وهذا ما حدث- سواءً في الشمال أو في الجنوب أو في الشرق، أو لأنه لم يكن يُقَدر أهمية هذه المناطق من حيث ما يمكن أن تُدِر على الخزينةَ من دخل..

وحسبنا أن نعلم أنه في بداية عهد الإمام يحيى كان القاضي الشرعي في عدن معيناً من صنعاء، وآخرهم القاضي عبدالله العرشي، ولما طلبت حكومة عدن أن يُجري الإمام راتباً للقاضي العرشي في عدن سحبه فقال: "نعطيهم قاضياً ونعين له راتباً من لدينا؟ إذاً فليذهب!" .. وهذا راجع لقصور الإدراك السياسي..

فالإمام يحيى هو ابن لصنعاء وشهارة، صنعاء في صباه، صنعاء في بداية العشرينات أو قبل العشرينات (هجرية)، وهو ابن شهارة وحوث والقفلة، ولو جئنا لنختبر أي مواطن موجود اليوم في تلك المناطق رغم انتشار الراديو

والصحف وانتقال الناس والأحداث...

... انقطاع في الشريط ...

لسنا من المغالين في تقييم دور الإمام، ولا من المنكرين للدور الذي تحقق على يده ومنحته الأقدار الملائمة والظروف الموضوعية التي كانت تحيط بالبلاد..

هذا من حيث قضية التوحيد والاستقلال، أما من حيث إعطاء اليمن صورتها السياسية الدولية المعاصرة، أما الصورة العامة لليمن فهي صورة الدولة المستقلة، وكفي..

جيش الإمام

هذا البعد أو هذه الصورة سبق وأن شرحنا أبعادها في قضية التوحيد لأن العملية مترابطة بعضها ببعض؛ إلا أن الإمام يحيى بنصيحة كثيرين من الرجال على سبيل المثال أذكر القاضي يحيى الحداد مفتي إب، كان هو الذي نبه الإمام إلى بناء الجيش على الأساس الحديث ونصحه باستبقاء بعض الضباط الأتراك ومنعهم من السفر بطريقة أو بأخرى لكي يبقوا ويقوموا بتنظيم الجيش تنظيماً يعتبر عصرياً في ذلك الوقت بدلاً من (البراني) أي الجيش القبلي.

السياسة الخارجية المتوكلية

إلى جانب هذا، كان هناك شخص بارز في مجال الدولة هو القاضي محمد راغب وهو محافظ الألوية أيام الأتراك، كان متصرفاً في لواء الحديدة، وكما عرفت مؤخراً أنه من إحدى الولايات اليوغسلافية حالياً، في الأساس هو قادم من يوغسلافيا، ولكن اعتُبر في الحال مواطناً تركياً في ذلك الوقت. كان لهذا الرجل دور حسن في استكمال مظاهر استكمال مظاهر السيادة السياسية من خلال اهتمامه بتوثيق العلاقات الخارجية بين اليمن والدول الأوروبية في ذلك الوقت، وبطبيعة الحال كمواطن تركي جمعه مع الإمام كراهية الإنجليز.. هو كمواطن انهارت دولته العظمى، والإمام يحيى بعقليته الدينية المتعصبة في ذلك الحين، وخشيته أيضاً من أن يثير الإنجليز له متاعب في المناطق الجنوبية من اليمن..

وكان هناك لقاء إيجابي بين الشخصيتين يَسّر لهذا الشخص أن تُقبل نصائحه التي انحصرت في الواقع في إبرام عدد من معاهدات الصداقة، ونستغرب حين نعرف أن الإمام يحيى في سنة ٣٣ أبرم اتفاقية صداقة وتجارة مع هولندا، وفي سنة ٣٦ أبرم اتفاقية مع بلجيكا ولوكسمبورج، وحين تقرأ أن الإمام يحيى في سنة ٣١ وقع على تحريم المخدرات.

تجد أن اليمن كانت يومها بجهاز طويل عريض ذات

علاقات متشابكة مع العالم كله. فالواقع أن القاضي راغب رحمة الله عليه جهد جهداً حسناً في مزيد من توثيق العلاقات الاعتبارية نظراً للخوف من الوجود البريطاني الملاصق للبلاد، لذلك اهتم كثيراً بإقامة هذه العلاقات، وخاصة مع الدول البحرية المنافسة لبريطانيا وفي مقدمتها إيطاليا وكذلك فرنسا وهولندا كما قلنا وبلجيكا ولوكسمبورج..

وفيما عدا تنظيم الجيش وإقامة الاتصالات الخارجية وتنظيم ديوان المحاسبة (المالية) نجد أن اليمن ظلت تسير في نظامها الإداري والتعليمي بشكل عام -اللهم إلا في مراحلها الأخيرة- سيراً تقليدياً قديماً لم يكن هناك تطور أساسي يمكن أن تتبين ملامحه وبالتالي تُحلل ويُحلل فيها دور الإمام يحيى.

الوضع المالي للمملكة المتوكلية

ربما كان للوضع المالي للبلد، أكاد أجزم أن له الدخل الأكبر في تحديد أبعاد نشاطات الدولة، وكما نعرف جميعاً في ذلك العهد لم يكن هناك شيء متعارف عليه باسم القروض أو المساعدات أو المنح، وبالتالي أو وإضافةً إلى ذلك وسائل الإنتاج التقليدية التي كانت موجودة، نجدنا أمام دَخل شحيح يستغرب المرء كيف تمكن الإمام يحيى بعد أن قضّى في الحكم ثلاثين عاماً من عام ١٩١٨ إلى

١٩٤٨، كيف استطاع أن يختزن أموالاً طائلة في المخازين قَدَّرَها البعض ٤٠٠ مليون ريال ماريا تريزا، أي بمعدل ١٠ مليون ريال أو أكثر في السنة، إذا قسمناها على ٣٠ يكون بمعدل ١٣ مليون وكسور في السنة وفر ما عدا ما كان ينفق..

بطبيعة الحال هذا يقود إلى قضية أخرى سنأتي لها فيما بعد، قضية وفر الإمام وموارده إنما المهم في الأمر أننا وقد عرفنا اليمن وبلونا شئونها وأدركنا ماذا يمكن أن يَرد لخزينة الدولة من مبالغ من طول اليمن وعرضها وأنها لا يمكن أن تفي أبداً بالنفقات العادية ناهيك عن ميزانية التطوير الذي تتطلبه الحياة.. بالتالي كان لقلق الإمام يحيى على المال الذي وصل به إلى حد المرض وأصبح مضرب الأمثال بالنسبة للشح والتقتير، كان لهذا العامل أثره الكبير في رفض التفكير بأي عمل من الأعمال الذي يمكن أن يؤدي إلى إنفاق قدر من المال سواء كان كثيراً أو قليلاً..

●●●

أنا أنظر إلى الأمور اليوم بمنظار هادئ غير متوتر، لأن البحث ليس سياسياً قدر ما هو هادئ لأن البحث بحث علمي، ونحن قد عبرنا معركتنا السياسية وكسبناها فلسنا بحاجة إلى زخرفة الكلمات حول الجوانب السلبية.. كما أننا لا يمكن أن نُعتبر بأي حال من الأحوال أننا حريصون على العهد القديم بحيث أننا ننسج له فضائل.. ولكننا نريد

أن نضع أنفسنا أمام الحقائق الأساسية حيث أننا نسعى لاكتشاف الحقائق في حياتنا لكي نطور أوضاعنا وما لم نتبين أبعاد قدراتنا وقدرات شعبنا وإمكانيات بلادنا على حقيقتها فإننا سنخطئ السير وسنضل الطريق دون أن نصل إلى حقيقة..

ذاك كل ما يمكن قوله بالنسبة للسؤال الأول..

●●●

■ هل تعتقدون بأن سياسة العزلة التي عاشتها اليمن لا سيما بعد إعلان استقلالها بنهاية الحرب العالمية الأولى سببها:

أ - دور الإمامة وشخصيتها، وتكوين الأئمة سياسياً واجتماعياً وفكرياً؟

ب- التدخل الأجنبي سواءً كان تركياً أو إنجليزياً والذي أدى في نهاية الأمر إلى تقطيع أوصال اليمن.. هل كان هذا التدخل عاملاً من عوامل خوف الإمام من الاتصال بالعالم الخارجي؟

●● لعل في الرد السابق ما يغطي هذا الجانب، والذي أريد أن أقوله، ليس في حركة التاريخ أي عامل متفرد، وإنما التاريخ نسيج من الأفعال وردودها من عدّة جوانب.. ولعل فيما سبق ما يُلقي الضوء على جانب السياسة

الخارجية لليمن فنحن لم نغفل التراث الثقافي للإمام ولا الظروف الخارجية، ولا انصراف الآخرين عن البلد مستغنين بالمرافئ التي تيسر لهم مواصلاتهم، ومطمئنين إلى أننا في حال من العجز لا ييسر لنا أن نُقِض مضاجعهم حيث هم مرتاحون..



■ **كيف يمكنكم :**

أ - تأريخ منشأ الحركة الوطنية لمعارضة الإمام يحيى في اليمن، هل يكون ذلك ببدء إنشاء (حزب اليمنيين الأحرار) على يد والدكم في عدن عام ١٩٤٤ أم في منتصف الثلاثينات؟

ب - دور النخبة اليمنية في هذا التطور السياسي، مع إعطاء:

١- لمحة عن تكوينها الاجتماعي السياسي والتركيب الطبقي والثقافي.

٢- صلاتها بالعالم العربي والخارجي.

جـ - تأريخ منشأ العلاقات الدولية اليمنية مع الدول الأخرى.. هل يكون ذلك

بالمعاهدات التي عُقِدَت في ما بين العهدين؟

●● بالنسبة لمناهضة العهد الإمامي.. المناهضة بدأت قبل أن يستولي الإمام على السلطة، فكما نعرف أنه أثناء الوجود التركي كانت المقاومة الإمامية قائمة وكان معقلها خارج صنعاء في المناطق الشمالية التي دارت فيها رحى الحرب الأهلية الأخيرة.. وحين كانت المقاومة للأتراك تدور في المناطق الشمالية كان هدفها الرئيسي مدينة صنعاء.. وفي صنعاء عبر العهد التركي الأخير الذي استمر ما بين ١٢٩٦هـ و١٣٣٧هـ أي ما يقارب الأربعين عاماً، نشأ جيل من أبناء المدينة أو مجتمع المدينة ذو العلاقة بالثقافة التركية وحياة المجتمع التركي إلى حد ما، كان هؤلاء قشرة خفيفة وبسيطة في مجتمعنا إلا أنها كانت تمثل هاجس الفزع من الإمام يحيى الذي يحمل فيما يحمل تزمتاً دينياً عنيفاً..

وكان في صنعاء قلق وتهيب لمواجهة عهد يقضي على مظاهر الحياة الاجتماعية اللطيفة ذات الأنغام والأشجان، وأن يُحيل كل (مفارج) صنعاء إلى ما يمكن أن يُعتبر (مُلحقات بالمساجد) التي هي (منازل المهاجرين) كما يسمونها.

إلى جانب الفزع الاجتماعي من هؤلاء العائشين في صنعاء، كان هناك أيضاً معرفة للكثيرين منهم بشخصية

الإمام يحيى نفسه فإن أباه الإمام المنصور عاش أساساً في صنعاء وكان يعمل بالتجارة، وكان معروفاً بأنه من أكثر الناس حذقاً ومهارة حتى أنه أصاب السوق بفزع من مقدرته وذكائه وخبرته بأصناف البضائع، حتى أن ذكاءه أصبح مضرب المثل في الذكاء بالنتائج السلبية حيث كان يقول هو: "كل إنسان انتفع بذكائه إلا أنا فإني أخسر بذكائي"!! ولما سئل عن سر هذا التعبير قال: (ما عرضت سلعة على الناس إلا ورفضوها قائلين: "لو كان فيها خير ما فلتها سيدي محمد"!، وما رغبت في شراء شيء إلا ورفعوا أسَعاره لأنهم يقولون ما أشتريها إلا وفيها ربح كبير! فكل الناس ربحوا من ذكائهم إلا أنا فقد خسرت)..

ذاك هو المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، ومن بعده كان له ولده الوحيد الذي هو يحيى الذي يعرفه أترابه بالبخل الشديد بالحذق المفرط وأنه لم يكن يتورع من أن يُقدِم على أي عمل من الأعمال فيها ما يحقق رغبته.

الرفض الشعبي.. والمعارضة التنظيمية

وفيما يبدو، وكما كشفت الأيام بعد ذلك، أن الإمام يحيى لم يكن يتمتع بطاقة الحب التي تيسر له امتلاك الأصدقاء أو الاحتفاظ به، فإن تاريخنا المعاصر لا يروي لنا اسم شخص ما ظل الإمام على عهده به، أو تعامل معه بمودة، فمعرفة شخصية الإمام قبل المعركة، قبل الانتصار،

قبل انتصاره، والتناقض بين طبيعة المجتمع الصنعاني الذي نعرف فيه جميعاً اللطف و(الدعكة) كما يُسَمون، في مواجهة أولئك الذين يعتبرون من هم خارج أسوارهم كفاراً، في شهارة.. هذا أوجد مناخ معاكس لقدوم الإمام يحيى وتَسَقّطُ لهفواته التي ما جاء في السلطة إلا لتضخمها لا لتخففها، لأنه بعد أن كان شحيحاً بما يملكه هو أصبح في نظر الناس شحيحاً بما يملكه باسم الآخرين، أو بما يملكه الآخرون، وحين كان شخصاً لم يكن مطمعاً ولكن حين صار إماماً أصبح محل أنظار الجميع، فتضخمت الأمور أكثر فأكثر، وبالتالي برزت أول نواة للرفض عقب دخوله إلى صنعاء، إن لم تكن مُسَبّقة..

وأول من نعرفه سماعاً فقط وليس بالعيان هو محمد المحلوي الذي كان محذراً ومنذراً من تقبل عودة الإمام يحيى إلى صنعاء بأنه سيكون عامل تدمير للمجتمع وللبنيان كله.

عقب ذلك انتشرت هذه الأفكار وتولدت تناقضات.. شأن مجتمعنا في ذلك الوقت شأن أي مجتمع وأي مرحلة من المراحل.. كل مولود يَلدُ نقيضَه معه.. فالاستقلال جاء وله تناقضاته الجديدة وَتناَقضاته القديمة.. رواسب الماضي ومنشآت الحاضر..

لكن هذه المعارضة أو هذا الرفض كان على استحياء وخوف شديدين لا يبينان عن نفسيهما، خاصة وأن الإمامَ

في عز انتصاره مؤيَّداً بجمهرة القبائل والقبائل المحيطة بصنعاء أساساً..

هذه البداية من حيث السُلم التاريخي، ولكن بعد ذلك بمراحل نشأت حركات هنا وهناك ما كانت لتستهدف الإمام ذاته، ولكنها كانت تستهدف أمراءه ونوابه وعماله لأن الإمام في نظر الجميع منَّزَهٌ عن الخطأ تقريباً، وبالتالي كان هناك قول شائع (أما سيدي صلوات الله عليهم لكن المحوشين هم الملاعين).. و(المحوشين) هذه تتسع وتضيق كما يشاء صاحبها أو بحسب ما يواجه.

لكنا لا نعرف تنظيماً علنياً سبق إعلان (حزب الأحرار) كمناهضة للوضع بصفة عامةَ وإن لم يتجرأ هذا التنظيم العلني على أن يواجه الإمام يحيى شخصياً ومباشرة بالرفض، حتى في المراسلات الخاصة المرسلة بينه وبينهم، لم تكن الحركة تفكر بنبذ الإمامة أو اقتلاعها أو رفض الإمام في بداية أمرها...

وما بين استلام الإمام للسلطة وبين إعلان قيام حزب الأحرار، نشأت عديد من التكتلات والتجمعات للمثقفين عبرت عن نفسها بطرق مختلفة ولكنها كانت في كل موقع من المواقع، وفي كل منطقة من المناطق تختار لها هدفاً مباشراً لتركز عليه حملتها..

ففي صنعاء كان هناك جماعة، وفي إب كان هناك جماعة، تذكر صنعاء دائماً الوريث والمطاع والعزب

والموشكي وعلي الإرياني (شقيق الرئيس الحالي ووالد مطهر وعبدالكريم) وعلي الشماحي (وهذا قد توفى، الأخ الأكبر للقاضي عبدالله الشماحي). ومعهم بعد ذلك القاضي عبدالرحمن والقاضي محمد علي الأكوع. طبعاً من الأوائل العزي صالح السنيدار إلى جانب أحمد المطاع وأحمد الوريث..

وبدأت الزُمَر تلحق زمرة وراء زمرة من أولئك الذين يقرأون الكتب الصفراء المطبوعة، لقد كانت قراءة الكتاب المطبوع نوعاً من التخطي والتحرر والثورة على الكتب المخطوطة التي تحتوي العلم الشريف حقاً، أما المطبوعة فقد دخلت فيها ألاعيب الشياطين بحيث أنها تُحورٍّ وتُزورٍّ وتُغير..

واستمرت هذه المعركة إلى أبواب الثلاثينيات حيث بدأ الصراع بين الكتاب الأصفر والكتاب الأبيض، كتاب الحواشي والكتاب الأبيض الذي يتحدث عن أشياء ما أنزل الله عليها من سلطان حول هذه وتلك، بحيث أن كتب المنفلوطي كانت تعتبر قراءتها أنها نوع من المروق..

روافد المعارضة الفكرية

من العوامل التي شحذت أذهان الشباب في اليمن، الحج والهجرة، فعبر الحج تيسر اللقاء والاحتكاك كما تيسر الحصول على كتب باللغة العربية طُبعت خارج مكة

وخارج اليمن، ويعود بها هؤلاء ليروا فيها أمراً عجبا بمختلف المواضيع وهذا كان المعين الذي حَرّك الذهن في صنعاء، بينما كان المعين الآخر الذي حرك الذهن في تعز هي عدن.. فإن قيام (نادي الإصلاح الأدبي) بعدن، وكان له أقطاب ثلاثة هم: عبدالله علوي الجفري من لحج، ومحمد علي لقمان من عدن، وأحمد محمد سعيد الأصنج أيضاً من عدن، هؤلاء كانوا رواد الإصلاح الأدبي بمعنى استخدام اللفظة العصرية العربية وإخراجها في شكل مطبوع، فهؤلاء أنشأوا نادياً أدبياً في عدن، كان ناقلاً لصورته وناسخاً له الأستاذ حيدرة الذي أقنع والدي بأن ينشئ نادياً (للإصلاح الأدبي بذبحان) و(مدرسة الإصلاح بذبحان)، وتلك قصة أخرى يطول شرحها في الصراع الذي دار بين والدي وبين الأستاذ حيدرة لأنه كان يقول أن الأرض كروية، وأنها ليست كما قال الله (وإلى الأرض كيف سطحت)، (والأرض بسطناها ومددناها) فتلك قصة أخرى تعطينا صورة من صور المسافة الكبيرة التي اليمن كانت تعيش خلفها ثقافياً إلى أواسط الثلاثينات.

وعلى كل فإن الصحف من عدن والمجلات والكتب، كانت هي الينبوع لتحريك الأذهان في المنطقة الجنوبية كما كان الحج رافداً من روافد الثقافة إلى صنعاء، وعبر تيسر البريد والمواصلات يوماً بعد يوم، والرحلات إلى الخارج للدراسة، ومواجهة العالم العربي في شكل بعيد كل البعد عن أوضاع اليمن، حدثت رجة أكثر عنفاً في أذهان الشباب

اليمني الذي كان هو المحرك لنشوء حزب الأحرار، فنحن بين ٣٢، حيث أنشئت أول جمعية سرية تضم من في صنعاء مع من في تعز رغم الاختلاف في وجهات النظر، وعلى سبيل الاستطراد أذكر أن المرحوم أحمد المطاع سافر من صنعاء إلى تعز لكي يقوم بتأليف كتاب عن جغرافية اليمن، وفي رحلته هذه تم لقاء بينه وبين الوالد في تعز دبره المرحوم عباس أحمد باشا (والد السيد فضل باشا الذي يدرس في إيطاليا منذ مدة، وعم السفير أحمد محمد باشا) التقيا هناك وكان الوالد في ذلك الوقت ضائقاً بالأمير علي الوزير الذي يحكم منطقة تعز ومعلقاً آماله بولي العهد أحمد الذي كان أميراً في حجة ولمَ يكن قد جاء إلى تعز حوالي عام ٥٤- ٥٥ هـ، لا، قبلها، كان هذا سنة ٣٢-٣٣ يوازيان ٥١-٥٢ هـ.. وكان المطاع على النقيض يقول للوالد: (أنتم لم تعرفوا أحمد حق المعرفة ولو عرفتوه لقَبّلتم حذاء علي الوزير).. وكان يسرد مثالب وقصص وحكايات غريبة وعجيبة، إلا أن الإثنين كانا متفقين على الرفض، كان يجمعهما الرفض فأُسست جمعية فيها الشيخ يحيى منصور (الوزير الحالي)، وفيها الأستاذ حيدرة، والسيد عباس أحمد باشا والوالد، ومنصور عبدالعزيز بن نصر (الذي توفي وكان وزيراً للعدل في مرحلة من المراحل)، وأيضاً شخص فيها اسمه المستر علي وقد سُمي بالمستر لأنه يتكلم الإنجليزية فهو مستر، وظل محتفظاً بهذا الإسم وأظن أنه لا يزال عائشاً وقد تقدم بالسن كثيراً في

عدن، وإلى جانب حفظه للإنجليزية بطبيعة الحال كان على صلة بأمور الدنيا العصرية فأفكاره وآراؤه والمعلومات معلومات غريبة وعجيبة لا يتحدث عنها إلا من كان مستر، من كان أجنبياً.

فهذه كانت أول محاولة، ولكنها محاولة بدائية وبسيطة وسهلة انتهت بأن الوالد في ظل مضايقات لقيها من علي الوزير غادر البلاد وسافر إلى مصر للدراسة، وإن كان في الأساس عازماً على أن يذهب للدراسة في العراق، ولكن قنصل العراق في ذلك الوقت في جدة أقنعه بأن يتحول عن الذهاب إلى العراق وأن يذهب إلى مصر ليجد تعليماً أكبر وهو الذي كفله أمام القنصلية المصرية لكي تمنحه الرخصة والتأشيرة، وبالفعل سافر إلى القاهرة، حيث تطورت أفكاره وآراؤه، والتقى بعدد أكبر من إخوانه.. في حين كان هناك فوج آخر من الشباب موجود في بغداد، في مقدمتهم الحورش والعنسي وآخرون، وأحمد الثلايا فيما بعد ومحمد عبدالولي وهؤلاء دفعة ثانية..

المستنيرون عصب السلطة والمعارضة

أما مبدأ نشوء حركة المعارضة فيما استعرضته من التطورات أو الأوضاع الاجتماعية أو الفكرية حين تأسيس المملكة المتوكلية اليمنية عقب الحرب العالمية الأولى، ودلفت بعد ذلك للحديث عن بداية التنظيمات التي كان

أبرزها هو تنظيم الأحرار اليمنيين، أما من حيث استقراء الشرائح الاجتماعية التي أسست هذه الحركة أو اضطلعت بشأنها فإننا نجد عمادها الأساسي فقد كان الفئة المستنيرة من أبناء الطبقات المتوسطة في اليمن، فنحن نجد أن الاستنارة أو الحصول على حظ من التعليم ولو في المدارس التقليدية إنما كان يقوى عليه أولئك الذين ليسوا مرغمين على أن يذهبوا لكي يسعوا من أجل عيشهم.. حقيقة أن التعليم في اليمن عبر التاريخ الإسلامي كله قد وجد رعاية عامة عبر الأوقاف، وتقديراً اجتماعياً شاملاً في كل منطقة من المناطق حيث يلقى طالب العلم قدراً كبيراً من التشجيع والرعاية والاحترام، ولكن مع مرور الوقت، رسخت أو ترشحت فئات أو جماعات لكي تصبح مدار أو لكي تصبح ذات مركز علمي معين أو هي مهيأة لكي تمتلك وسائل التعليم بشكل أكثر.. ومع ذلك وحتى لو أن الفئة المستنيرة في المجتمع قد جاءت من فئات اجتماعية مختلفة في مكاناتها إلا أن إصابة حظ من التعليم في حد ذاته ينقل صاحبه رأساً إلى الطبقة المتوسطة لأنه يفتح له مجالات العمل في الدولة وغيرها.. وبالتالي نجد أن فئة المستنيرين في اليمن يكادون يكونون الحليف الطبيعي للسلطة أو للفئة المتسلطة في المجتمع أياً كان منشأها الأساسي أقصد الفئة المستنيرة..

المستنيرون بطبيعة أحوالهم كانوا موظفين، والموظف صاحب جاه، وصاحب الجاه مؤثر على العلاقات

الاجتماعية.. فإذا كنت موظفاً في العهد الإمامي فإنك أكبر من الشيخ الذي تجده اليوم، الشيخ أمامك لا يزال رعوياً أما أنت فمسئول متنفذ مهما كان مركزك في الدولة..

والمستنيرون في أي مجتمع من المجتمعات هم عين المجتمع وحسه المرهف.. فهم حين يقال عنهم طلائع، هم بحق طلائع المجتمع، سواءً اتخذوا الموقف المناهض للواقع القائم أو اتخذوا الموقف المؤيد والمحامي.. هم الطليعة لأن العاكفين على الدراسة، العاكفين على استقراء عقول من سبقهم لا شك أنهم مهيأون نفسياً وعصبياً تهيئةً أصلب وأمتن من أولئك الذين لا يقوون على محاورة التاريخ أو محاورة الأفكار الأخرى عبر الأداة الصامتة الناطقة التي هي الكتاب..

فعنصر القلق والحوار في أي مجتمع من المجتمعات عادة يكون هؤلاء المثقفين الذين نقول في بلادنا أنهم المستنيرون، تحفظاً نسبياً لمدلول الثقافة في مفهومها الواسع المعاصر، وإن كانوا من الناحية النسبية لبلادهم يعتبرون بأنهم ما يسمى بـ Intellgencies الانتلجنسيا أي النخبة، فالنخبة اليمنية كانت عصب الحركة اليمنية، حركة الأحرار اليمنيين وحين تقرأ أسماء الذين اضطلعوا بالأدوار الأساسية تجدهم بين مثقف وتاجر بشكل أساسي، وخاصة التاجر المغترب، التاجر المهاجر..

عصب الحركة اليمنية، عصب حركة الأحرار الفكري هو اللقاء مع العصر، التمدن..

تكوين حركة الأحرار اليمنيين

كانت الهواجس الأساسية كبرياء تاريخية ضخمة تنفخ معاطس اليمنيين بشكل قد يُرى متوازن، أبناء سبأ وأبناء حمير وذوو الفضل على البشرية كلها والحضارات الإنسانية عبرت في أرضهم في أمان وسلام دون صدام ولا صراع، تمازجت واختلطت، كل هذه الأشياء تملأ خيالات اليمني الذي يُفجع بنفسه عندما يصل إلى مدينة عدن حيث يرى المسافات بينه وبين البشر غير متصورة، أما أولئك الذين ركبوا البحار فإن صدمتهم أشد هولاً، صحيح أن غالبية المهاجرين كانوا عمالاً في الملاحة وفي البواخر، لا كملاحين ولكن كصانعي وقود وحمالين وشيالين، لكن كسبهم وارتفاع دخولهم حملت البعض من المستنيرين أيضاً على أن يهاجروا سعياً وراء الرزق، للعمل في أي مجال من المجالات.. فكانت التجارة اليمنية، بالبشر وليس برأس المال، تملأ شرق أفريقيا كلها نحن نجدهم في السودان، ونجدهم في الحبشة ونجدهم في كينيا، في تنزانيا (حالياً التي كانت تعرف بدار السلام) مومباسا وفي تنجنيقا وأوغندا وكل أفريقيا مليئة باليمنيين الذين أصبحوا مع مرور الوقت تجاراً ومالكي أراضي وعقارات وأراضي زراعية..

فعبر هؤلاء ذهب كثير من المدركين إلى حد ما، والمستنيرين فكانوا هم أرضية بنيان حركة الأحرار اليمنيين

التي اعتمدت أساساً على مساعدات هؤلاء، وعاش الحركة كل الوقت لم تتلق عــوناً من أية دولة من الدول إلا من هؤلاء، وما تزال الأسماء والسجلات مكتوبة وبينة إلى اليوم، ومحتفظ بها..

طبيعة تكوين الحركة، حركة الأحرار اليمنيين كانت أساساً من المستنيرين والتجار المغتربين الذين كانوا يشدون أيضاً بعض الذين يعملون في المصانع والبواخر بحكم العلاقات والقرابة لبعض المتصدرين للحركة..

هذا هو التكوين الفكري والاجتماعي لهيكل حركة الأحرار اليمنيين الذين كانوا يتطلعون إلى اللقاء مع العصر بعد أن صُدموا بما رأوه في بغداد والقاهرة، فوجدت دعوتهم وملاحظاتهم ومقارناتهم استجابة منطقية وكانت بينهم وبين المهاجرين لغة مشتركة لأن أولئك أيضاً واجهوا الصدمة بين القرية وبين برمنجهام، بين مريس في رداع وبين لكوانا في نيويورك أو في شمال الولايات المتحدة الأمريكية..

بواعث حركة المعارضة

هذا هو التكوين العام للحركة مضافاً إليها عنصر آخر لا بد من التوقف عنده قليلاً أو جانب من أرضية الحركة، حركة الأحرار اليمنيين، كانت الشكوى من التناقض الحاد بين المزارعين وبين العساكر، الرعوي والعسكري، وتلك

قصة سجلها الأستاذ الزبيري في قصيدته (سجل مكانك في التاريخ يا قلم) في حوار بين عجوز وعسكري وهو يريد منها الضيافة:

أين الدجاج وأين الكبش فابتدري   إنا جياع، وما في حيكم كرم

هذا ما يقوله العسكري، فترد عليه:

يا سيدي ليس لي مالٌ ولا نشبٌ   ولا رجالٌ ولا أهلٌ ولا خدمُ

أو (ولا رجالٌ ولا شاءٌ ولا نعمُ)

إلا بني الذي يبكي لمسغبة   وتلك أدمعه الحمراء تنسجمُ

فيرد عليها العسكري:

إني إذاً راجع للكوخ أهدمه   يا شافعية إن الكذب دأبكمو

والحوار بين العسكري والرعوي هو حوار تاريخي جغرافي اقتصادي بين المناطق التي لا تمسك الماء رغم خصبها، والمناطق التي تنهال عليها المياه وتختزنها فينصرف الناس فيها إلى الزراعة، وهو التناقض الذي نشهده بين وقت وآخر يتفجر بأشكال مختلفة وتحت أسماء مختلفة. فنحن نجد أن الزكاة في ظل العهد الإمامي كله كانت أمانة في المناطق الشمالية، وليست كذلك في المناطق الجنوبية.

عدالة الإمام يحيى

وأنا اليوم، بعيداً عن كل تعصب محلي، لو أني كنت في مكان الإمام يحيى لما صنعت غير نفس هذا الصنيع، لأن

التشدد في المناطق الشمالية لا يُجدي فتيلا، بينما التشدد في المناطق الجنوبية يعمر الخزينة؛ كما أنه لا بد لي من قوة قهر أستطيع أن أجمع بها المال. فكان لا بد من مجندين، ولا بد من أملك ولاء هؤلاء ولاءً حقيقياً، والإمام يحيى في الحقيقة لم يكن مجحفاً ولا كان.. ولم يكن مثيراً للبعض بخيره وللآخرين بشره ولكنه كان يوزع نفسه بالقسطاس المستقيم بين الجميع، فهو قد جعل من الإنتماء للعسكرية في الشمال نكداً ما بعده نكد بالنسبة للعسكري ولكفيله، كما أنه استخدم الشريعة في الشمال بين كل من يملك ثروة استخدامها استخداماً شيطانياً فذاً لسحق كل مكانة شمالية، ونّفس عن كل أعماله في الشمال بالجندية وإعطائها الفرصة لكي تعيث فساداً في المناطق الجنوبية شرقاً وغرباً، فوزع السوء في كل مكان لأنه في مجموع الأمر لم يكن هناك غير السوء ليوزع، فكان دقيق العدالة عادلاً عدالة مفرطة في توزيع الظلم، وفيما أسلفت من حديث عن احتياجات الدولة وإمكانياتها والظروف الدولية ما قد يُسعف الإمام يحيى في الدفاع عن نفسه أمام التاريخ، خاصة وأنه قد أوجد دولة مستقلة أو احتفظ بها مستقلة ولم يَخُن أو يرتمي أمام أي جهة أجنبية بشكل أو بآخر، وكان دقيق التقدير لإمكانياته العسكرية وقدراته يطمح ويحاول ويغامر ولكنه حين يدرك أن الخطر محدق يتراجع بشكل صريح واضح يُسلِم بما يريده الآخرون لكي يحتفظ بما بقي فيسوس أموره..

هذه الناحية ناحية السوء أو التناقض بين العسكري أو المزارع رافقها التناقض بين التاجر والموظف في الجمرك أو العامل أو أمين الصندوق أو مأمور الأنبار أو مدير المال وغالبية هؤلاء في المناطق الجنوبية كانوا من الشمال، فأوجد العهد الإمامي تناقضاً حاداً....

... نهاية الشريط الأول ...

.... بداية الشريط الثاني:

العديد من التطورات حدثت ويسرت أيضاً انتقال الأستاذ الزبيري من باكستان إلى القاهرة، بعد أن قامت الحركة في مصر، وكان للإخوان المسلمين في مطلعها تأثير كبير على السلطة. فانفتح الباب أمامه لكي يصل وتجمع في الأمر تأثير الإخوان المسلمين على السلطة وصداقته مع المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام الذي كان سفيراً لمصر في باكستان..

العالم الجديد

الذي يسر له الأمر أيضاً إلى هذا كله التبدل الشامل في علاقات المنطقة كلها بالمجتمع الدولي وتأثر الناس في كل مجتمع من المجتمعات البسيطة بالدفق، بالإغراق الحادث في السوق الذي يستثير مطامح ومطامع ورغبات جامحة عند كل واحد تجعله يضيق بما هو فيه ويتطلب الأحسن، فأي دعوة من دعوات التغيير أو التبديل تجد لها أرضية

نفسية ملائمة عند كل فرد، ما بقاش أحد محافظ، إنهار القديم كله، سقط كل شيء، صحيح أن ألمانيا خسرت الحرب لكن اللي خسر معاها أيضاً كمان كل العراقات، كل القديم، المنتصرة فرنسا والمنتصرة بريطانيا أيضاً مهزومتان بطبيعة أوضاعهما وتاريخهما وأفكارهما وكل شيء، فعلى أعقاب الحرب العالمية الثانية سقط القديم، وأطللنا على عالم جديد جدة حقيقية، أقدمنا أو دلفنا إلى الإمبراطوريتين الجديدتين، والتعامل بينهما والتعامل من خلالهما، وتعاملهما من خلال الآخرين أيضاً حفل بالعجائب التي لا تزال بحاجة إلى مزيد من التفسير وكثير من الإيضاح وكثير من الدراسة نحتاجها زمناً طويلاً ونحتاج لها أمداً أبعد.

ثورة ٢٦ سبتمبر عناصرها ومؤثراتها

الذين يرون أن ما حدث في صنعاء في ٢٦ سبتمبر سابق لأوانه مجازفون في حق الكلمة؛ لأن الذي يحدث، يحدث نتيجة أسباب وعوامل هيأت له إمكانية الحدوث.. وحين تتوفر الأسباب لإمكانية الحدوث لا يكون هناك سبق ولا تأثير..

نقول أنه سابقٌ عما كان يتمناه فريق، أو متأخرٌ عما كان يتمناه فريق هذا صحيح، ولكننا لا نستطيع أن نقول عما حدث أنه سابق لأوانه، لأن أوانه هو أوان الحدوث وقد

حدث، فمثل هذا القول، منطقياً لا يصمد..

أما بالنسبة للعوامل والعناصر التي ألفت هذه العملية ففي تقديري أن انفجار الحدث التاريخي في صنعاء يوم ٢٦ سبتمبر كان انفجاراً لتركيبة معقدة من العوامل التاريخية اليمنية والتطلعات الشابة، وحصاد زمن طويل، ومحاولات متعددة ومتكررة من محاولات الطلائع اليمنية لتغيير الأحوال التقت مع الجرح الذي كان ينزف في أعماق شخص يملك بين يديه إمكانيات هائلة، وهو مصاب في كبريائه إصابةً قاتلة.. وأعني بذلك جمال عبدالناصر شخصياً.. جرحه العميق في سوريا، وخلافه الحاد مع زملائه في مجلس الرئاسة، الذي كشفه شمس بدران عند محاكمته التي نُشرت أجزاءٌ منها في الأهرام، وعبر الرد من رئيس المحكمة يومها حسين الشافعي (إن حرب اليمن جت وصفت المسائل)، وحبذا أن ترجع إلى محاكمة شمس بدران في صحيفة الأهرام وتقرأ إشاراته للخلاف بين عبدالحكيم عامر وعبدالناصر في قضية تعيين الضباط وترقياتهم والخلاف مع البغدادي، والصراع قبل أحداث اليمن بالذات حول هذا الأمر..

كما نحن مؤمنون جميعاً بأن التاريخ لا يسير أبداً في مسارات منفصلة عن بعضها، ولكن التاريخ البشري كله شأنه شأن الدم في جسم الإنسان تتدخل فيه عوامل لا حصر لها ويسير في تشعبات غير معدودة، كذلك شأن الحدث التاريخي في أي بلد لا يمكن أبداً أن ننظره من ثقب

ضيق وعبر شريط محدد وإنما هو جزءٌ من كل، يضطرم ويتفاعل..

طبيعي، لسنا في حال من يفلسفون التاريخ البشري ولكننا ندرس حالة معينة، وبوضوح أقول أن اليمن كانت مهيأة لتغييرات وكان المفروض أو المنتظر أن تتم التغييرات في ثمان وأربعين، وفي أربع وخمسين حين المناداة بولاية عهد البدر، وفي خمسة وخمسين عندما انفجر الموقف، وفي تسع وخمسين بعد أن مَرض الإمام وذهب إلى روما وكان منتظراً أن تُعلن الجمهَورية يومها، وانتظارات واحتلامات بطلوع الفجر لا حصر لها ولكن بما أننا جزءٌ مما حولنا فقد تعوّق كل شيء حتى يتفاعل الموقف من كل جانب وحدث التفاعل، وانفجر يوم ٢٦ سبتمبر ٦٢ حين التقت العوامل اللازمة للتفجير من داخل اليمن ومن خارجها فكان ما كان..

الأستاذ النعمان وسبتمبر وتخطيط عبدالناصر

لم تكن هناك معارضة من أحد في قيام الثورة، ولكن هناك تخوف كبير من قيامها في موعدها الذي قامت به خشية أن تُصاب بنكسة وقد جاءت الأيام لتدلل من صحة هذه النظرة، لأن هذه النظرة كانت مبنية على أنه لا يوجد أحد يمكن أن يتدخل -قياساً على ما حدث قبل ذلك- كما تدخلت مصر لدعم الحركة، فالدعم المصري من حيث

الميقات والنوعية والكثافة هو الذي مكن لهذه الثورة من أن تصمد، وإلا لما كان حظها أحسن من حظ حركة ٥٥ التي قادها الثلايا، فلم يكن هناك معارضة القيام بحركة تغيير، ولكن كان الأمر مرتبطاً بشيء واحد وهو كفالة سلامتها واستمرارها، وأشد الناس معارضة أو رفضاً لاحتمال قيامها على الأصح لأنه لم يُفاتح بإقامتها ولكن باحتمال القيام، فرفضاً للاحتمال كان هو أحمد محمد نعمان لأنه لم يكن أمامه أي دليل على وجود أي نصير، وكان في تقديره دائماً أن السعودية وعدن لن تسمح بأي حال من الأحوال لحركة جديدة في صنعاء أن تقوم ما لم تكن مُلاينة ومُلاطفة، وكان استقراؤه لهذا مبنياً على الموقف السعودي والإنجليزي من ولاية عهد البدر الذي كان متهماً بالعلاقة الحسنة بمصر. ومن ناحية أخرى كنا ندرك أن المصريين ليسوا مكترثين لما يدور في اليمن، وليسوا أبداً مستعدين لتقديم أي عون من خلال علاقاتنا بهم، ولكن اتضح الأمر على النقيض لأن عبدالناصر كان له تخطيط ثابت، وهو ألا يقبل التعامل والتعاون مع من وُجد في المسرح السياسي في أي قطر عربي قبل ٢٣ يوليو ٥٢، لأن تقديراته كانت مبنية على أن التاريخ يبدأ به وينتهي به، فرفض بالتالي أي تعامل، وهذه قصته مع كل الساسة العرب أو الثوار العرب الذين وجدوا قبل أن يوجد أو لمعت أسماؤهم قبل أن يُعلم فكان ما كان، هذا ما كان بالنسبة للقياس..

الرفض الداخلي للحركة وقصة ليلة ٢٦ سبتمبر

طبيعة الحال نعمان في الخارج، والسلال والجائفي في الداخل أشد الناس رفضاً للقيام بأية حركة، لأن تقديراتهم ورؤيتهم للموقف داخل البلد أنه لا تُسعف بالصمود، ولم تكن لهم صلة مباشرة بالمصريين وخاصة السلال كان مرفوضاً من قبل المصريين، وكان مرشحهم الحقيقي هو حمود الجائفي، ولكن حمود الجائفي بحسب تكوينه يرفض رفضاً قاطعاً الإقدام على تحمل المسئولية الأولى ولذلك كان تعليق السلال أول ما علق في التلفون (في صورة أن المجنون فلت)، ولكنه للإنصاف حين ذهب أحمد الرحومي وصالح الرحبي ذهبا إليه في بيته في منتصف الليل يطلباه النزول، كان جوابه عليهما (أنزل بالبدلة العسكرية والا هكذا) فقال له الرحومي (بالبدلة)، فنزل بالبدلة العسكرية لأنه عرف أنهما ما جاءا يدعوانه في ذلك الوقت بعد ذلك الضجيج، وبعد أن انقطع به الاتصال مع القصر ومع غير القصر أنه مَدعوٌ لقيادة الحركة فَقَبل، وأُخبر في الطريق أن كل شيء قد انتهى ولم يبق إلا القيَادة وفوجئ في مركز القيادة بأنه مطلوبٌ منه أن يوّقع أمراً إلى قائد القصر ليفك الباب وليعطيهم الذخيرة، فقد رفض صالح العروسي (الضابط الصغير وراء أحمد الرحومي وغيره) رفض أن يفتح الباب إلا بأمر من أحد الضباط الكبار إما حمود الجائفي، إما عبدالقادر بن عبدالله، إما عبدالله السلال.. حمود الجائفي في الحديدة، ليس

عبدالقادر بن عبدالله، آسف، عبدالقادر أبو طالب صرفوا النظر عنه على أساس أنه هاشمي وأنه لا يمكن الاطمئنان إليه في مثل هذه العملية، إذاً لم يبق غير السلال فذهبوا رأساً إلى السلال، صالح الرحبي وأحمد الرحومي..

وصالح الرحبي هو الذي أطلق المسدس على الحسين بنفسه وليس جمال جميل، كما أخبرني بذلك هو شخصياً عندما رافقني في مشواري من تعز إلى عدن في أغسطس ١٩٥٥، وهذا إسم من الأسماء التي لم يُشر إليها جمال جميل لا من قريب ولا من بعيد في كل ما قَدم ما بيانات..

■ لماذا؟

●● لأنه غير مرئي ولا منظور إليه أبداً، مش داخل في الحساب فهو يستطيع أن يغطيه، هو يعرف أن رأسه سوف يذهب، خلاص يذهب، لكن ماذا يستطيع أن يحمي؟ ممن حماهم، صالح الرحبي..

حيثية السياسة الخارجية

من ٢٦ سبتمبر ٦٢م حتى ٥ نوفمبر٦٧م

السياسة الخارجية لعهد ٢٦ سبتمبر ظلت بطبيعة الحال محكومة بالسياسة المصرية الخارجية حتى قيام حركة ٥ نوفمبر ٦٧، حيث عادت اليمن لتأخذ حجمها الطبيعي والعفوي في المجال الدولي وهو (البحث عن الأصدقاء

دون انتماء)، وكما أقدم الإمام يحيى على إقامة علاقات ديبلوماسية وتجارية مع الاتحاد السوفيتي في ٢٨ قبل أي دولة عربية، ووسّع الإمام أحمد علاقاته مع كل من أبدى رغبته من الدول الاشتراكية لإقامة العلاقات معه، وهو الإمام أحمد وأبوه الإمام يحيى..

كذلك وجدت اليمن نفسها في عهد عبدالرحمن الإرياني أنها قادرة على أن تحتوي بجانب روسيا والصين بريطانيا وأمريكا وفرنسا وألمانيا وكل العالم.. ليس بيننا وبين أحد أي قضية خاصة، إذاً فَلِمَ نصد عن أحد، ثم نحن محتاجون لعون كل البشر فَلِمَ لا نسعى إليهم..

تلك هي حيثية السياسة الخارجية اليمنية التي لم يجد الآخرون فيها مطمعاً فيأتوا إليها، فكان حقاً عليها أن تسعى وراءهم..

ذاك هو موقفنا الذي لا يستطيع أي حاكم يمني أن يتمرد عليه أو أن يغير فيه، ما لم تتفجر في أرض اليمن ثروة أو أن تنشأ فيها مصالح خاصة تستطيع أن تُسيل لعاب الآخرين أو تستثير ألبابهم..

تلك هي القضية ببساطة..

مفاجآت المعركة ومؤثراتها

طالت المعركة في اليمن وأخذت أبعادها بفعل العوامل الداخلية والعوامل الخارجية.. أنت تعرف أن البلاد تحيا بدون مواصلات شاملة، وانقطاع المواصلات يخلق بالضرورة مجتمعات ضيقة محصورة.. هذه المجتمعات سّمها ما شئت، قبلية، قروية، طائفية أي إسم من الأسماء الذيَ تنعته بها خذه كما تشاء.. ولكن القضية قضية تكنيكية..

لا مواصلات، وحيث لا مواصلات يوجد الانحصار والانغلاق..

تثور مخاوف كما تثور أطماع..

تفاعل الأمرين معاً يؤدي حتماً إلى استعداد قوي للمصارعة، فإذا وُجد من يُشعل اللهب وجدت استعداداً خارقاً يقف أمام (النَابالم) وأمامَ الغازات السامة والأسلحة الفتاكة وقاذفات اللهب، وكل شيء لأن هناك استعداد طبيعي مهيأ لإحداث الحريقة..

جاء العالم إلينا فجأة.. بكل الأسلحة..

جاء العالم ليتصادم على أرضنا..

وجاءت الصراعات الإقليمية في المنطقة تصطرع على أرضنا..

ونحن.. مهيأون..

خاصة إذا رافق ذلك العطاء..

ونحن الذين لا نعرف الريال.. فكيف بالجنيه الذهب!

وكيف بمئات الألوف، وكيف بالسيارات، وكيف بالسفر إلى مصر؟!!!

كل هذه العوامل كانت مؤثرة تأثيراً كبيراً في إضرام نار الحرب، التي تيقظ لها رجال أقوياء.. في ذواتهم أولاً..

لا يملكون غير أنفسهم..

ولا يملكون غير الحس التاريخي ببلادهم وشعبهم.. وأنه في حاجة إلى من يقوده وينقذه من (المذبح)..

فانطلقت دعوة السلام بقوة..

وانطلقت لا على أساس المزايدة من خارج الحكم، وإنما انطلقت ودعاتها في قمة السلطة..

جمهورية الأحرار

والقوة الثالثة هي قوة الإرياني ونعمان والزبيري، قوة الدعوة إلى السلام وهم في مواقع السلطة داخل حكومة الحرب..

هي الدعوة إلى جمهورية دون حرب، فهي جمهورية لا ترضى عنها السعودية، ودون حرب لا ترضى عنها مصر..

هي جمهورية شعبية ترفض التسلط الخارجي وترفض التسلط العسكري المحلي..

فهي ترفض النظام الناصري؛ ولكنها في الوقت نفسه ترفض الملكية المتسلطة التي تسير عليها السعودية..

فكان هناك منطق ثالث غير المنطق الإمامي، وغير منطق التابعين والعملاء والمرتبطين والمأجورين هنا أو هناك..

ذاك هو حيثية وتفكير القوة الثالثة..

سقط الزبيري شهيداً كقربان لدعوة السلام، وجاء نعمان ليتسلم الحكم، فاشترط من أجل ذلك إصلاحاً دستورياً أساسياً ينقل السلطة من يد الرئيس إلى يد المجلس، وأنشئت لجنة المتابعة لتقوم بأعمال مجلس الشورى ريثما يقوم مجلس الشورى الذي حُددَ له زمن معين.. ولكن أُجهضت العملية بإنشاء المجلسَ العسكري الأعلى الذي فور إعلانه بدأ يتدخل في شئون الدولة، فاستقال نعمان.. وتلاحقت الأزمات السياسية التي نعرفها والتي انتهت بنعمان إلى زنزانة في السجن الحربي بمصر..

اليقين اليمني

وكان الهدف، أو كان اليقين اليمني هو أن توجد يمنٌ أولاً، يمنٌ واحد..

نلتقي جميعاً ونحل السلام في أرضنا، ونسعى من أجل تصحيح الأوضاع أو بناء النظام السياسي كيفما كان على أساس ألا نفقد ديمقراطية الحكم وجماعية القيادة.. هذه

مبادئ لا حول عنها ولا جدال، ولكن " ما كل ما يتمنى المرء يدركه "..

مضت الأمور على النحو المعلوم بعد حركة ٥ نوفمبر وحدث بين نعمان وبين زملائه شقاق وخصام، ولكن انتهى الأمر إلى أنه لا بد من احتواء أبناء اليمن لكي نبني اليمن..

وانتصر منطق الحب والإخاء على ما عداه..

وحين التقى اليمنيون جميعاً، لم يكن أحد يفكر في أن يُسلّم قياد بلاده وقياد نفسه لأي حاكم كيفما كان بل كان اللقَاء على دستور وعلى برلمان.. وبذلك تحقق الهدف الأساسي لحركة الأحرار وهو أن نُقيم نظاماً سياسياً شعبياً ديمقراطياً في بلادنا منفتحاً على أمم العالم كله لأننا في حاجة إليها.. وذلك ما كان.

وكان أمتع ما لقيه نعمان أن يجد عنفاً وضراوةً في مجلس الشورى وهو رئيس للوزراء، وأن يجد نفسه مضطراً للاستقالة من رئاسة الحكومة أمام مجلس الشورى، طالما وأنه ليس على وفاق مع مجلس الشورى..

الوساطات المستحيّة

■ ما رأيكم في الوساطة العربية باليمن بصورة عامة؟ كيف يمكن أن تقيموا دور

الدول التي حاولت تنفيذها؟ ما صلات هذه الدول بالشخصيات والأطراف اليمنية؟

●● الواقع أن الوساطات العربية كان هدفها الأساسي الإشفاق على الشعب اليمني من جانب، ومن جانب آخر على إهدار القوى العربية في حرب أقل ما توصف بها (الجهل القومي الفاضح) إذ تنصرف دولتان عربيتان كمصر والسعودية لإضرام نار حرب في أرض عربية أخرى كاليمن، وفلسطين مغتصبة..

والوساطة العربية فيها قدرٌ من الاستحياء العربي الخفي من تدني الوضع والواقع الذي كان يومها..

يومها الوضع كان شائناً ومخجلاً.. لو عدنا بالذاكرة إلى أول وساطة عربية لوجدناها عراقية جزائرية على أعقاب مؤتمر القمة الأول قام بها مبعوثان للرئيسين عبدالسلام عارف وأحمد بن بلا.. والشخصيتان كما نعلم جميعاً، وخاصة في ذلك التاريخ يناير ٦٣، من الشخصيات التي تقف أمام عبدالناصر كما لو كانت أحد أبنائه وهذه العلاقة الخاصة بين عراق عارف، خاصة بعد حركته في نوفمبر ٦٢ ضد البعثيين، وأحمد بن بلا، هذا التحرك كان مضعفاً جداً أو كان ضعيفاً جداً أمام السعودية لأن الوسطاَء غير محايدين في اعتبار السعودية.

أنا آسف، يناير ٦٤، وليس ٦٣ لأن حركة نوفمبر , ٦٣.

لأن هذه الوساطة تمت على أعقاب مؤتمر القمة الأول في ٦٤,

المحاولة الثانية جاءت من الكويت، كان ذلك في سنة ٦٥ حيث قام الأمير الحالي وهو وليٌ للعهد في ذلك الوقت بالوساطة تحت طلب من حكومة اليمن حين جاء الأستاذ نعمان إلى رئاسة الوزراء وهو على علاقة حميمة بالمسئولين في الكويت الذين كانوا يرون فيه إنساناً معتدلاً، وإن كان جمهورياً وإن كان يدعو إلى تغيير في أوضاع بلاده، إلا أن الكويتيين، بصدق وصراحة، مؤمنون بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يدوم الحال في أي قطر من الأقطار العربية على ما هو قائم.. وأنه لا بد من التغيير والتبديل والتطوير وإلى آخره.. وكنت أنا مبعوث الحكومة إلى الحكومة الكويتية في ذلك الوقت، واجتمعت بالأمير الحالي الذي كان ولياً للعهد ورئيساً للوزراء قبل أن يُسافِر إلى الكويت مع وزير الخارجية..

●●●

البواعث كما قلت حوافزها الأخوة العربية، إشفاقاً على مصر ورفقاً بالسعودية ورثاءً لليمن وحياءً عربياً شاملاً، إنما كان الخصمان الحقيقيان يقفان من بعضهما وقفة المبارز فلا يعبئان بأحد يتوسطِ بينهما، ولا يعبئان بميدان المعركة، ولا بالضحايا التي تسقط.. وما أُتيح لأحد أن ينجح غير محجوب في ظل حوادث ٦٧، ليس ذلك فقط، ولكن بعد

أن كان عبدالناصر يواجه مشكلته مع عبدالحكيم عامر في القاهرة، لأننا نعرف أن عبدالناصر طار إلى الخرطوم بعد قيامه باعتقال عبدالحكيم عامر وقيادة الجيش، وغيرها من أركان دولته.. في ذلك الوقت أمكن أن تنفذ الأمور بالطريقة التي نعلمها جميعاً..

الاصلاح السياسي الأمريكي والرفض السعودي

■ **أريد التركيز في وساطتين كانتا تطفوان على السطح أولها أمريكية عام ١٩٦٣، ثم إيطالية انتهت على ما يبدو بالنجاح؟..**

●● الوساطتان وساطة واحدة، الوساطة الأولى أمريكية وهي وساطة تستهدف التعاون المصري السعودي استبقاءً لمصر في إطار الصداقة المصرية الأمريكية، وتنغيماً لعلاقتها مع السعودية وهذه ما تعرف بـ(اتفاقية الانفكاك) التي كان قائدها بانكرز.. وحبذا لو قرأت كتاب Facing the Brink.. كتاب يبحث في السياسة الخارجية الأمريكية التي عنوانها (حافة الهاوية أو سياسة الهاوية أو في مواجهة الهاوية)، فيه فصل عن Comarz War حرب كومرز، لأنه كومرز هو المسئول في مكتب الرئيس كينيدي عن ما يتعلق بشئون حرب اليمن، فأطلق عليها كومرز وور، وفيها يروي قصة بانكرز مع الملك فيصل أو الأمير فيصل حينها الذي

كان رئيساً للوزراء والخلاف معه، لأن الأمريكان كانوا يحاولون الضغط على المملكة العربية السعودية، ليس للصلح مع اليمن أو للصلح مع عبدالناصر في اليمن، وإنما أيضاً يطالبون بإصلاحات سياسية داخل المملكة العربية السعودية توسيع قاعدة الحكم، أن يوجد في الحكومة السعودية عناصر جديدة غير العناصر التي مشتركة في الحكم في ذلك الوقت وحتى الآن..

تلك هي الوساطة الأمريكية ولم يُقدر لها النجاح لأن بانكرز الذي كما أعرف أنه هو الآن السفير في فيتنام South Vietnam.. ووجه بعنف شديد من الأمير فيصل الذي أراد أن يُنهي المحادثات وأن يطرده للتدخل في الشئون الداخلية للمملكة العربية السعودية، ولم يجدوا مبرراً لاستمرار الحديث، حتى يعود الرجل بوجهه إلا أنه يقولوا أن في خطأ بالترجمة وأن الغرض مش كذا، ومش عارف أيه، هذا ما كُتِب في الكتاب..

الاستقلال الجديد

فالموضوع الأول أمريكي، وفَشل لهذا السبب، ولأن هناك حسابات أخرى عند الآخرينَ، والثاني أمريكي أيضاً لأن السفير الإيطالي في ظل غياب العلاقات الأمريكية والبريطانية والفرنسية والألمانية قبل ذلك، كان هو راعي المصالح الغربية فهو كان الواسطة..

ولكن الوساطة نجحت مؤخراً أو التدخل الخارجي نجح بسبب الموقف الشجاع الإيجابي الناجح الذي اتخذته الحكومة اليمنية في ١٥ يوليو ٦٩ عندما أعادت العلاقات مع ألمانيا الغربية في ظل تقاطر الاعترافات المباشرة وإقامة العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الشرقية من الدول العربية..

إعادة العلاقات مع ألمانيا الغربية أوضح للغرب، بما لا يدع مجالاً للشك، أن الحكم في صنعاء حكم مستقل، وأنه ليس كما يتصور البعض أو كما يشيعون أنه ذيل لروسيا أو للصين، فهذا قَلَبَ الحسابات.. إلى جانب أن ألمانيا الغربية امتنت امتناناً كبيراً لهذا الموقف الشجاع من دولة ضعيفة محاصرة محاربة، وما فيش بينها وبين أحد من الدول الغربية أي علاقة خاصة، إنما أقدمت على هذه الخطوة، والكل يعرف أنه ما كان بيننا وبين السعودية أي شيء في ذلك الوقت، محاولات فاشلة..

وأقدمنا على هذه الخطوة..

هذا أحد الحسابات، قَلَبَ الحسابات وجعل أمريكا تبذل جهوداً إيجابية من أجل تسوية الخلاف مع المملكة العربية السعودية..

فمفتاح الموقف ليس الوسيط الإيطالي، ولكن مفتاح الموقف هو إعادة العلاقات مع ألمانيا الغربية في وقت ذُعر له الكثيرون، وضاق به كثيرون، واختصم من أجلَه كثيرون.. ولكنه أعطى اليمن مرة أخرى حقها في المجال

الدولي، واعتبره البعض أنه بمثابة إعلان جديد لاستقلال اليمن..

اتصال السلال بالإرياني

■ **تردد أن السلال أجرى صلات بهذه القوى قبل عودتها إلى اليمن عام ١٩٦٧م عن طريق العقيد عبدالله الضبي، فهل هذا صحيح؟**

●● ما دمت تعني هنا الحديث عن اتصاله بالقوة الثالثة..

المشير السابق عبدالله السلال بعث رسائل مع الأخ عبدالله الضبي إلى القاهرة حيث كان يحتجز فيها للعودة وللتعاون، وأشار في الرسالة إلى أنه يرحب "بعودة الجميع غير من تعرفون" .. وقد فُسرت غير من تعرفون أنهم أربعة (أحمد محمد نعمان، محمَد أحمد نعمان، حسن العمري، حسين الدفعي)..

هذه هي رسائله ومراسلاته، وصادف أن الوالد قد كان قَدمَ إلى بيروت وأُرسلت لنا الرسائل إلى بيروت في حين أنَ رسالة أخرى من المشائخ بخط الشيخ نعمان بن قائد بن راجح موجهة إلى القاضي عبدالرحمن وإلى الوالد وإلى القاضي محمد الحجي تدعوهم للعودة؛ في حين أن

الرسالة التي أرسلها السلال بخط محمد الجرموزي محصورة على القاضي عبدالرحمن وحمود الجائفي، وفيها يشير أنه يرحب بعودة هذا، "غير من تعرفون"، وغير من تعرفون هم هؤلاء..

هذا الاتصال حدث، ولكن حدث وهو في فَزَع بعد أن تأكد أن المصريين مقررون الانسحاب، وبعد أن كان ما كان في ٣ أكتوبر بين القوى الجديدة الممثلة في الصاعقة والمظلات، وبين القوة المصرية بعد المظاهرات وقتل المصريين..

الحب والحقيقة

■ هناك من يقول بأن اليمن أشبه بلبنان وبوضعها بعد ١٩٥٨، واحتلالها من قبل القوات الأمريكية أي أنها تحولت إلى دولة "لا غالب ولا مغلوب" ما انعكاس ذلك على سياسة اليمن الخارجية؟

●● اليمن كما قال أحد الإخوان يوماً من الأيام "ليس فيها غالب ولا مغلوب، ولكن فيها غالب ومغلوب، الغالب هو الشعب اليمني كله، والمغلوب هو الأحقاد والتخلف"..

الصورة شاعرية بطبيعة الحال، ولكن حين نضعها على محك الاختبار السياسي نجد على أن الصيغة القديمة

للحكم في شكلها التقليدي قد غُلبت، وأعني بذلك الإمامة، ولكن الغالب الحقيقي هو العصَر، هو روح التغيير والتجديد التي أشرت إلى عواملها التاريخية والمحلية وأيضاً الإقليمية..

التاريخ الإنساني حركة جدلية مستمرة، والقوْل بأنه لا غالب ولا مغلوب قول يتناقض مع المنطق، أجسامنا فيها الغالب والمغلوب ونحن يوماً بعد يوم نتجدد ونتغير بمعنى أن أشياءَ كثيرة تفنى فينا..

صحيح.. أننا موجودون.. أن شيئاً جديداً موجود فينا..

ولكن هناك أشياء قديمة اندثرت..

ففي اليمن قيم وأفكار وتصورات للمجتمع تندثر، وقيم في طريقها للاستقرار والنشوء..

القول بـ "لا غالب ولا مغلوب" قول سياسي نطلقه للمداراة..

أما في مجال البحث العلمي فلا سبيل لأن نقول ذلك القول، حتى وإن كان يعز علينا أن نثير جراح أحبة وإخوة لنا..

الحب لا يتناقض مع الحقيقة..

والسياسة هي الأسلوب الوحيد الذي يُمكّن من خلط هذا بذاك، وإبعاد هذا عن ذاك في رفق ولين وموَدة..

النشاط الدبلوماسي في باريس

الزي القومي اليمني يدخل للمرة الأولى قصر الإليزيه

بومبيدو يتسلم أوراق السفير محمد نعمان

ويرد عليه واعداً بالاهتمام الكامل

باريس- .. كانون الأول- ((النهار)):

للمرة الأولى في تاريخ الإليزيه دخلت إلى القصر العمامة والخنجر والزنار والشال والقفطان اليمنية. كان ذلك الأربعاء ٨ كانون الأول الجاري (ديسمبر ١٩٧١م) عندما قدم السيد محمد أحمد نعمان أوراقه إلى الرئيس جورج بومبيدو سفيراً للجمهورية اليمنية خلفاً للسيد محسن العيني الذي عين رئيساً لحكومة بلاده.

وتسعى اليمن لتنمية علاقاتها الثقافية والاقتصادية مع فرنسا. وستكون مهمة السفير الجديد السعي مع المسؤولين لتحقيق هذا الغرض. وقد باشر اتصالاته بعد تقديم أوراق اعتماده.

وقالت مصادر ديبلوماسية أن كلمة الرئيس بومبيدو رداً على كلمة السفير نعمان تعتبر من الكلمات غير التقليدية التي يلقيها الرئيس الفرنسي في مناسبات تسلم أوراق اعتماد السفراء ألأجانب.

وفي ما يأتي نص الكلمتين:

كلمة نعمان

فخامة الرئيس :

من دواعي الاعتزاز الكبير أن يحملني فخامة الرئيس عبدالرحمن بن يحيى الإرياني أمانة تمثيل بلادي وحكومتها لدى فخامتكم والدولة الفرنسية العظيمة ..

وأن يكلفني إبلاغ فخامتكم مشاعره الودية وتقديره الكبير لفخامتكم مع ما تجيش به نفوس اليمنيين من تقدير وإكبار للشعب الفرنسي العظيم والدور الجليل الذي ساهم به في صناعة الحضارة الإنسانية وإغناء الحياة البشرية بأحاسيس السعادة والهناء عبر ما قدمه من أعمال خالدة في ميادين الفن والأدب الخالد المجيد.

ومبعث اعتزازي بالقيام بهذه المهمة إنما يرجع إلى الأمل الضخم في بلوغ مستويات جديدة من النجاح في تطوير العلاقات بين الدولتين الفرنسية واليمنية، واستعادة النشاطات الإيجابية المتبادلة عبر التاريخ القديم الذي انقطع بين البلدين في ظل العزلة القاسية التي عاشتها اليمن في عصر النهضة الحديثة بسبب انصراف الموكب الحضاري عن العبور بأرضها.

فخامة الرئيس:

إن اليمن لتذكر على الدوام ما بذلته فرنسا العظيمة من جهود بارة على أيدي أبنائها المناضلين في سبيل المعرفة الإنسانية. وما تحملوه من مشاق كبيرة من أجل اكتشاف اللغة اليمنية القديمة التي حفظتها النقوش الأثرية. فحفظت معها شطراً حافلاً من لقاء الحضارات الإنسانية على أرض اليمن قبل آلاف السنين يوم كانت أرض العربية السعيدة سبيل اللقاء الأمين والتعايش السلمي وتبادل الخبرات والمنتجات بين الشرق والغرب.

والامتنان اليمني الراسخ لهذه اليد العظيمة مقترن على الدوام بمشاعر الطمأنينة والود الصادق تقديراً لصفاء العلاقات اليمنية - الفرنسية عبر التاريخ الطويل وخلوها من أي شائبة تعكر صفوها..

وإذا كان التمثيل الدبلوماسي المقيم قد أُستُهل في عهد فخامتكم بين البلدين، فإن ذلك مما يضاعف من آمالنا في إعلاء مستويات التعاون الكريم وتوسيع مجالاته وامتداد أبعاده، لتعوض اليمن عن انصراف الحضارة المعاصرة عنها في فترة العزلة إقبالاً متنامياً ترووده فرنسا العظيمة في مختلف المجالات الثقافية والإنمائية، لتستطيع اليمن أن تهيئ نفسها للتلاؤم والتواؤم مع الركب الإنساني المتقدم وأن تجدد نسبها الحضاري القديم، الذي كان ينبوعه الكبير هو الانفتاح على أمم العالم في مودة واتزان، ومن دون تمييز ولا مفاضلة.

فخامة الرئيس :

إن يقين فخامة الرئيس عبدالرحمن بن يحيى الإرياني والحكومة اليمنية بما لدى فخامتكم والحكومة الفرنسية من رغبة قوية في تطوير العلاقات بين البلدين، قد ضاعف من آمالي في تحقيق أفضل مستويات النجاح في مهمتي التي أعتقد أنها ستحظى على الدوام بالرعاية والعون الكريم من فخامتكم.

عاشت الصداقة اليمنية الفرنسية ..

عاشت الجمهورية الفرنسية ..

عاشت الجمهورية العربية اليمنية ..

رد بومبيدو

يسعدني أن أرحب بكم سفيراً معتمداً للجمهورية العربية اليمنية لدى فرنسا، وأن أستقبل في شخصكم أحد الممثلين الأكفاء البارزين، لقد حزتم في الحقيقة، خبرة واسعة في القضايا الدولية أثناء عملكم الدبلوماسي في البلدان العربية وكذلك في ألمانيا الغربية من أوروبا، كما أنكم لعبتم وأنتم في سن مبكرة إلى جانب والدكم الشيخ أحمد نعمان دوراً من أكبر الأدوار أهمية في الحياة السياسية لبلادكم.

ومما لا شك فيه أن الحكومة اليمنية بتعيينكم سفيراً لبلادكم في باريس خلفاً للسيد محسن العيني الذي استدعي إلى بلاده ليشغل منصب رئيس الوزراء. قد حرصت في ذلك على أن تعرب عن الاهتمام الكبير الذي تعلقه على الحفاظ وعلى تقوية العلاقات الطيبة والوثيقة القائمة بين فرنسا واليمن.

والحكومة الفرنسية مرتاحة جدا إلى هذا الاهتمام. إنكم يا سيادة السفير تنتمون إلى بلد لديه العديد من أسباب الاعتزاز والافتخار أذكر منها على الأخص عظمة الحضارة وقدمها والتمسك بالسيادة والاستقلال كما ذكرتم، استطاعت اليمن أن تنفتح على العالم من وقت مبكر وبالأخص مع فرنسا إذ استقبلت الأطباء وعلماء الآثار الفرنسيين منذ بداية القرن الثامن عشر . كما أن العديد من مواطنيكم قد استقروا في موانئنا على البحر المتوسط وأيضا على بحر المانش في الهافر.

ولأنكم شاركتم في المفاوضات الدولية التي أدت إلى قيام العلاقات الجديدة فقد استطعتم بنفسكم، يا سيادة السفير، أن تتعرفوا على مقدار رغبتنا في إحياء الروابط العريقة التي ساهمت في تقارب ورفاهية شعبينا، ومن الطبيعي أن تعمل فرنسا على تنمية واستمرار هذا التعاطف وهذه الرغبة المتبادلة في التعاون والتي كان من شأنها قيام هذه العلاقات الرسمية.

وإني أؤكد لكم يا سيادة السفير أنكم ستجدون لدي دائماً ولدى الحكومة الفرنسية الترحاب الودي التام والاهتمام الكامل لتأدية مهمتكم.

كما أرجو أن تنقلوا إلى سيادة الرئيس عبدالرحمن يحيى الإرياني عظيم اعتباري وتقديري مضيفاً إلى ذلك تمنياتي الحارة لسعادة الشعب اليمني.

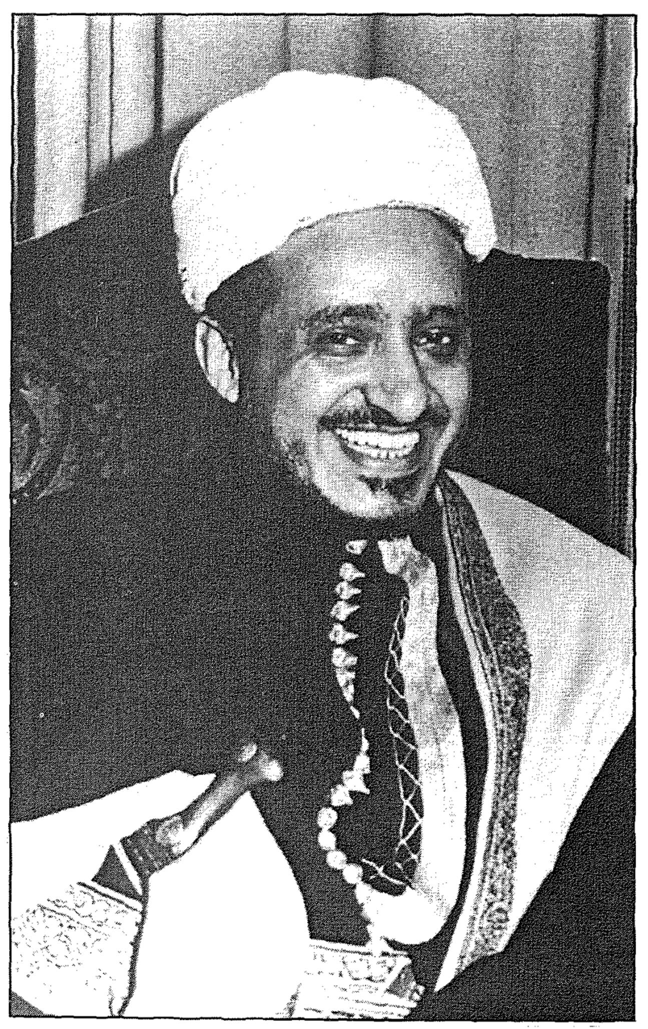
الصــور



من اليمين : وزير الخارجية الفرنسي، الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو، والسفير محمد أحمد نعمان بالزي القومي اليمني في قصر الأليزيه - باريس : ٨ ديسمبر ١٩٧١م



مع الرئيس السويسري فريدريش يوم تقديم أوراق الإعتماد كسفير غير مقيم
برن - ٢ مايو ١٩٧٢م



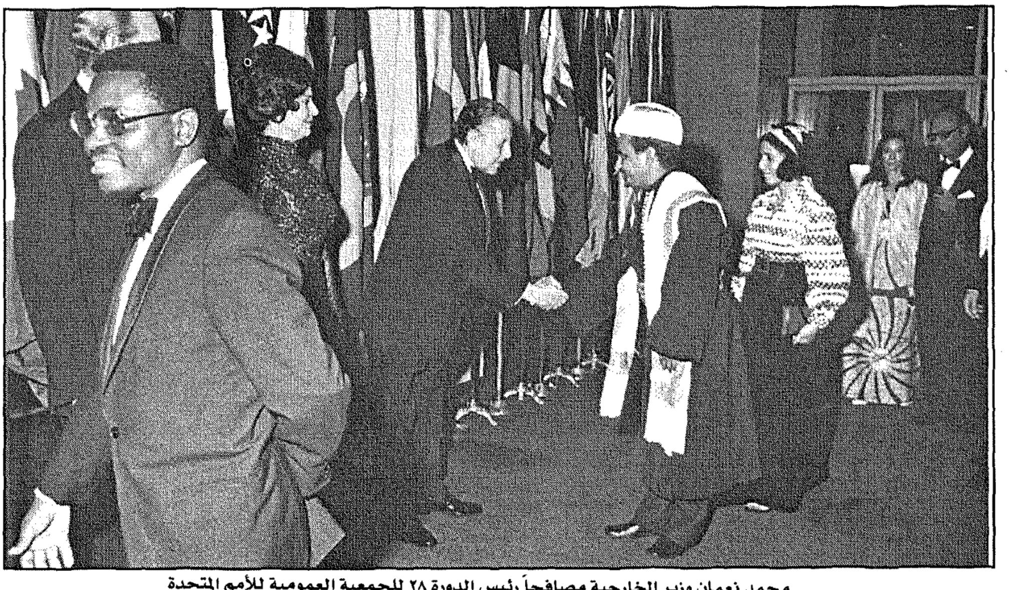
يوم تقديم أوراق الإعتماد كسفير غير مقيم في سويسرا
برن - ٢ مايو ١٩٧٢م



مع الرئيس القاضي عبدالرحمن الإرياني ووالده الأستاذ أحمد محمد نعمان
باريس - سبتمبر ١٩٧٢م



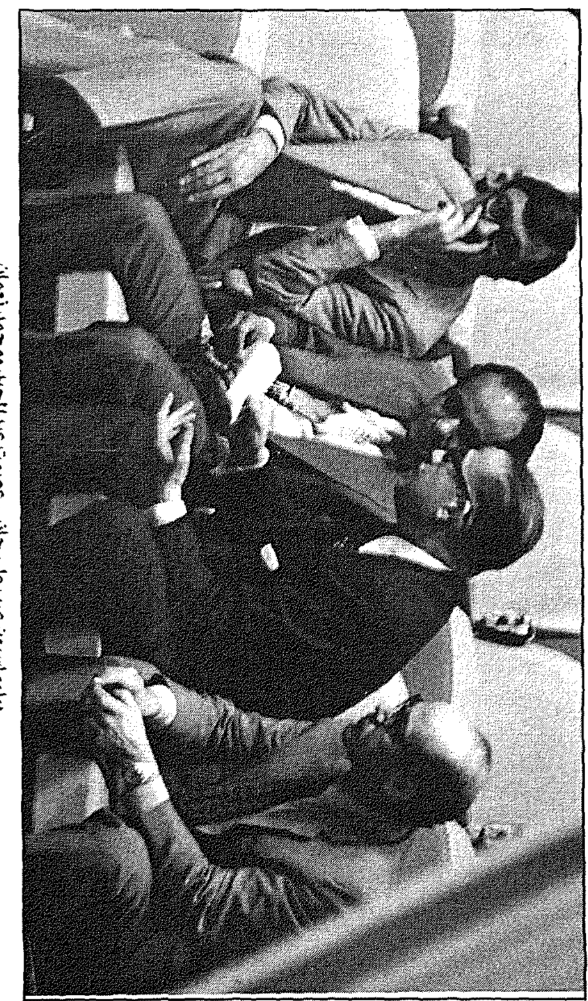
محمد نعمان وزير خارجية اليمن الشمالي ومحمد صالح مطيع وزير خارجية اليمن الجنوبي ومحمود رياض أمين عام جامعة الدول العربية - ١٩٧٣م



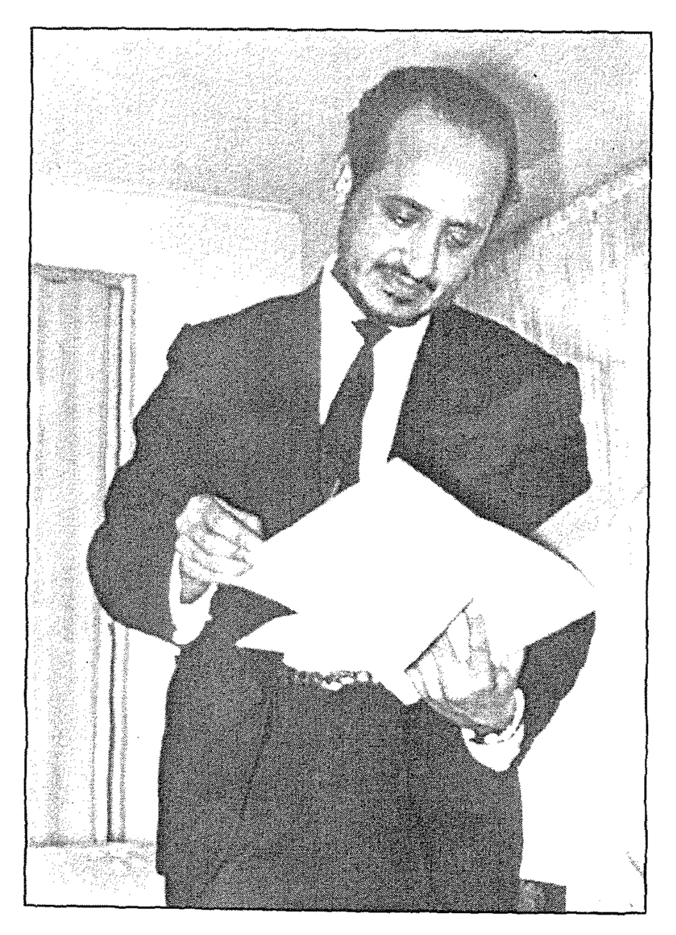
محمد نعمان وزير الخارجية مصافحاً رئيس الدورة ٢٨ للجمعية العمومية للأمم المتحدة
ويبدو في الصورة د. محمد سعيد العطار وزوجتاهما - نيويورك - اكتوبر ١٩٧٣م



محمد نعمان وزير خارجية مصافحاً أمين عام الأمم المتحدة كورت فالد هايم
نيويورك - اكتوبر ١٩٧٣م



دبلوماسيون عرب على جانبي عصمت عبدالمجيد ومحمد نعمان
نيويورك - اكتوبر ١٩٧٣م



الاستاذ محمد أحمد نعمان يقلب أوراقه
باريس - ١٩٧٢م

التفوق للطباعة صنعاء - تليفاكس (٥٠٥٩٩٩) (٥٠٠٤٨٤)





اليراع الصادق

محمدٌ نابغة عبقري	لا طائش الرأي ولا مفتري
يراعه لم يستجب للهوى	ولا لبياع ولا مشتري
بل أنه للشعب بل أنه	للحق بل للمنطق النير
من آل نعمان ولكنه	قد فاق بالرأي السديد الجري
وإن ما سجله هاهنا	أصدق ما سُجل في دفتر

الشاعر القاضي

إبراهيم أح





منتدى ... الشباب
ص.ب 1583 صنعاء - الجمهورية اليمنية
NYCF@hotmail.com